مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 25 عدد: 58 السنة: 2021

القصة القرآنية في دائرة المعارف الإسلامية
ـ قصة إبراهيم أنموذجا ـ دراسة نقدية

The Quranic story in the Islamic Encyclopedia
- The Story of Ibrahim as a model - a critical study

د.عبد الرحيم ثابت[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة
Tabet.rahim1985@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/11/17 القبول 2021/02/22 النشر على الخط 2021/09/30
Received 17/11/2020 Accepted 22/02/2021 Published online 30/09/2021

ملخص :

يندرج هذا المقال ضمن الدراسات القرآنية التي تعنى ببيان موضوعات القرآن الكريم وفنونه في كتابات المستشرقين، وهو يتناول بشكل أخصّ فنّا من فنون علوم القرآن الكريم، تبوأ هذا الفنّ والموضوع منزلة رفيعة بين موضوعات القرآن الكريم ومحاوره، ألا وهو ـ القصص القرآني ـ، فجاءت هذه الدراسة مركزة ومسلطة على قصة من قصصه، وهي قصة نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ في كتابات المستشرقين . وبالضبط في دائرة المعارف الإسلامية التي تعدّ أكبر وأضخم عمل موسوعي أنتجه الاستشراق الأوربي، هادفة ـ الدراسة ـ لاستعراض طريقة الدائرة في عرض هذه القصة وبيان منهجها في سردها للوقوف على بعض الشبهات والمغالطات العلمية التي وقع فيها كاتبوا هذه المادة ـ مادة إبراهيم ـ مع نقدها وفق أصول البحث العلمي وقواعده .

الكلمات المفتاحية : القصة القرآنية ـ إبراهيم عليه السلام ـ دائرة المعارف الإسلامية

summary:

This article implies within quranic studies, about Holly Quran subjects and arts in orientalists writings. It deals with one specific Holly Quran art; an art that has a high esteem within the other subjects and axis of Quran namely «quranic stories (narratives) ». this study focuses on one of the stories, which is the story of prophet Ibrahim –peace be upon him- in Orientalists writings and precisely in The Encyclopedia of Islam that is considered as the biggest Encyclopedia made by the European orientalist. The target of the study is to show the way this Encyclopedia has shown this story and to state

Key words: Quranic narrative- ibrahim(abraham)peace be uponhim-encyclopedia of islam

[1]– المؤلف المرسل: عبد الرحيم ثابت البريد الإلكتروني: **Tabet.rahim1985@gmail.com**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدّمة

لقد شغل القصص القرآني حيّزا كبيرا من موضوعات القرآن، وتربعت القصة القرآنية على مساحة واسعة من محاور القرآن . وهذا الانشغال والتوسع ناجم عن الأغراض والمقاصد التي تؤديها القصة القرآنية باعتبارها موضوعا من موضوعات القرآن . ولما لها أيضا من أثر ظاهر وجليّ في بيان هداياته وأنواره .

إنّ الناظر في واقع القصة القرآنية في كتب التفسير عموما يجد تباينا واختلافا بين المفسرين في طريقة تناولها، وكيفية عرضها، على اختلاف مناهجهم في التفسير بين الرأي والأثر، فالمتصفح، والمتفحص لكثير من تلك الكتب يظهر له جليّا ولوع كثير من المفسيرين بإيراد الغريب من الروايات والأخبار المتعلقة بالقصص القرآني، مع سرد لكثير من الوقائع والأحداث التي هي من نسج الخيال، والبعيدة كلّ البعد عن الحقيقة والواقعية التي هي أهمّ سمات وخصائص القصة القرآنية، علاوة على ما تشتمل عليه تلك الروايات والأخبار من الأقوال الفاسدة، والآراء الباطلة التي تقدح في عصمة الأنبياء، وتخدش في قدسيتهم تارة، وعلى ما تعارض به تلك الأخبار المزيفة كثيرا من الأصول والثوابت الدينية في تعارض تام مع صحيح المنقول، وصريح المعقول، ويعزّ أن تجد في كتب التفسير من ينبه وينوّه بجمال القصة القرآنية، ويبرز مكامن العبرة والعظة فيها، أو يحرص على إظهار نبيل مقاصد القصص القرآني، وسمو أهدافه اللهمّ إلاّ النزّر القليل من المفسرين المحققين الذين وقفوا على مكانة القصص القرآني من بين موضوعات القرآن، وأدركوا أغراضه وأهدافه التي جاء يحققها باعتباره أسلوبا ربانيا منتهجا في الدّعوة والتبليغ .

وإذا كان هذا هو حال القصص القرآني في كتب التفسير، فكيف به في كتابات المستشرقين وأبحاثهم، فإنّه ممّا لا يخفى على الباحثين في علوم الشريعة اهتمام كثير من الباحثين الغربيين بدراسة الإسلام ونقده، حيث وجّهت طائفة من مفكري الغرب جهدها، واستفرغت وسعها في دارسة علوم الشريعة، من تفسير، وحديث، وفقه، ولغة، وتاريخ، وغير ذلك ممّا يتعلق بالتراث الإسلامي، وقد كانت لهم في ذلك بواعث وأهداف، وأغراض يرمون تحقيقها، لكن ممّا هو مقرّر في تاريخ الاستشراق والمستشرقين أنّ بحوثهم وكتاباتهم كانت تفتقر في الغالب إلى التحقيق المفضي إلى بلوغ الحقيقة وإدراكها، بل كان الطابع على تلك الأبحاث والكتابات هو مجانبة الصواب، والحياد والميل عن قصد الحق، وهذا ليس تجنيا، فأعمالهم شاهدة على التعصب الديني الذي انطلقوا منه، والذي أفضى بهم إلى سلوك مسالك بعيدة عن روح البحث العلمي ومعايير النقد فيه، تجلّى ذلك كلّه في مظاهر شتّى كبتر النصوص وتحريفها تارة، والسعي لتشويه الحقائق الدينية والثوابت الإسلامية بدّس أقوال فاسدة، وآرء باطلة تارة أخرى، والتأويل البعيد تحقيقا للأغراض، وخدمة للأهداف

المبحث الأول : تعريف القصة القرآنية لغة واصطلاحا

إنّ ضبط وتحديد المدلول الاصطلاحي للقصة القرآنية يقضي أولا بالوقوف على المدلول اللغوي لهذه الكلمة، وهذا ما يوجب الرجوع لبعض المعاجم والقواميس لضبط معناها وبيان أصل اشتقاقها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القصة لفظ مشتق من مادة القصّ الذي يعني تتبع الأثر، جاء في الصحاح : «قصّ أثره تتبعه، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الكهف: ٦٤، وكذلك اقتّص وتقصّص، واقتصت الحديث رويته على وجهه، والاسم القصص بالفتح وضع موضع المصدر حتّى صار أغلب عليه، والقصص بالكسر جمع قصة » ([1])

وجاء في لسان العرب : « قصصت الشيء إذا اتبعت أثره شيئا بعد شيء، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ القصص: ١١، والقصة الخبر، وهو القصص، وقصّ عليه خبره يقصّه قصصا أورده والخبر المقصوص والقصص بكسر القاف : جمع قصة والقاص يقص القصص لإتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا » ([2]) .

أفادت المادة اللغوية من هذين المعجمين أنّ القصة مشتقة من مادة القصّ الذي يعني تتبع الأثر .

وأمّا القصة القرآنية في الاصطلاح، فقد عرّف كثير من الباحثين المشتغلين بالدراسات القرآنية القصة القرآنية، ومن بين تلك التعريفات :

تعريف عبد الكريم الخطيب :

القصص القرآني كلّه عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن ... ـ فهو والأمر كذلك ـ وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة...» ([3]).

تعريف مناع القطان :

«وقصص القرآن : أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة » ([4])

تعريف عبد العزيز ثابت :

«... وخلاصة القول أنّ القصص القرآني عرض أحداث ماضية واقعة، فمادة قصص تجيء كلّها من الغيب الماضي دون أن يكون فيه شيء من واقع الحال » ([5]).

المبحث الثاني: قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

لقد ذكرت قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وتكرّر ورودها بين ثنايا سور القرآن المكي والمدني على حدّ سواء، حيث وردت قصة إبراهيم في القرآن المكي في سورة الأنعام، وهود، والحجر ، والنحل، وإبرهيم، ومريم، والأنبياء، والشعراء، والعنكبوت، والصافات، والزخرف، والذاريات .

---

[1] ـ الصحاح في اللغة : إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة قصص ـ، ج 3، ص 115 .
[2] ـ لسان العرب : ابن منظور، ـ مادة قصص ـ، ج 5،ص 3650 ـ 3651 .
[3] ـ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : ص 39 .
[4] ـ مباحث في علوم القرآن : ص 300 .
[5] ـ مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني : ص 15

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي القرآن المدني وردت قصة أبينا إبرهيم ـ عليه السلام ـ في سورة البقرة، وآل عمران، والتوبة، والحج، والممتحنة .

إنّ الناظر في تكرار قصة أبينا إبراهيم ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم بعد السبر والاستقراء، يدرك حقيقة المكانة والمنزلة التي تبوأتها قصة إبرهيم ـ عليه السلام ـ من بين بقايا القصص القرآني، فقد كان لأبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ نصيب أكبر وحظ أوفر من الذكر والعرض، وإن فسر هذا بشيء، فإنّما يفسر بموضوع القصة التي جاءت تعالجها، والمقاصد والأهداف التي جاءت تحققها، وليس في هذا التكرار شيء من العيّ ، أو العيب، بل هو في غاية الانسجام والتناسق مع موضوعات السور التي وردت فيها القصة، وفي نهاية التناسب مع مقاصد تلك السور وأغراضها .

ولقد أشار الدكتور فضل حسن عباس لمكانة قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في القرآن مقارنة ببقية القصص القرآني، فقال : « ليس بدعا أن يكون لأبي الأنبياء وشيخ الحنفاء، أبينا إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يكون له في هذا القرآن الحظ الأوفر، والنصيب الأكبر، ونبي هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم ـ دعوة من دعواته ؛ كما جاء في السنة الصحيحة، بل هذه الأمة مدينة له بهذه التسمية الطيبة الكريمة « ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج: ٧٨، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :« إنّي عبد الله في أمّ الكتاب وخاتم النبيين، وإنّ آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنّه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات المؤمنين» .

وقال في موضع آخر : « ومن هنا لم يكن ذكر إبراهيم في كتاب الله تعالى كذكر الأنبياء السابقين، فكان النبي يذكر من جانب واحد، وهو ما يكون بينه وبين قومه، ولكن شيخ الحنفاء ذكر في كتاب الله من جوانب متعددة، ولا عجب فمآثره كثيرة، ومناقبه أجلّ من أن تعدّ » ([1])

إنّ ما اشتملت عليه قصة إبراهيم من الدّعوة للتوحيد والحنفية السمحة، ونبذ الشرك وتركه، ومناظرة المشركين ومحاججتهم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، وضروب البلاء والامتحان التي تعرّض لها في الولد والبدن، وملاقاته لذلك كلّه بالصبر والرضا حقيق وحري بأن يكون له ذلك الحظ من الذكر، والنصيب من العرض في كتاب الله تعالى، لتكون دعوته وسيرته رسالة للأنبياء من بعده، وللمصلحين والمربين من بعدهم، يقتدون ويتأسون به في مراحل دعوتهم .

هذا ولقد نبّه الشيخ البشير الإبراهيمي ـ رحمه الله ـ على أهمية ومكانة قصة إبراهيم في القرآن الكريم، إذ نصّ على ضرورة الوقوف عندها بالتدبر والتأمل المفضي إلى استخلاص الدروس والعبر التي يحتاج إليها الداعية والمربي، فقال :« ... وما أكثر السور التي ذكر وقصّ فيها قصص إبراهيم، وما أحقّ الكثير منا بأن يسمى بهذا الاسم، لما فيها من زيادة التفصيل في أصل دعوته، ومحاجة قومه، أو محاجة قومه له، أو لما فيها من غرابة الحادثة وروعة ساقها كقصة إبتلائه بذبح ولده في سورة الصافات، وقصة تبشير الملائكة له، ولزوجته بالولد، بعد أن مسّها الكبر في سورة هود . وهاتان الحادثتان أغرب من حادثة بناء الكعبة المذكورة في هذه السورة، وفي سورة البقرة والحج، وإن كان بناء الكعبة أعظم منهما أثرا، وأيسر ذكرا، ولكن تسمية السور القرآنية ليس بالهوى

[1] ـ قصص القرآن الكريم : صدق حدث، وسمو هدف، إرهاف حس، وتهذيب نفس، ص 253 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتشهي، والمناسبات الفنية، والاعتبارات الذوقية، والملاحظات الاصطلاحية، وإنّما هي توقيف من رسول الله الذي لا ينطق عن هوى، فحسبنا فيها الاتباع ...» ([1]).

وفي تعداده لفوائد قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم، وما اشتملت عليه من دروس وعبر، وانطوت عليه من مقاصد وحكم يقول في موضع آخر : « ... وأكبر الفوائد لنا، فيما قصّ القرآن من قصص إبراهيم، ما تضمنته من العلوم، ففيها، على تقارب أساليبها، واختلاف السور المتضمنة لها ما بين مكية ومدنية، آيات للمتوسمين،ومجالات لأفكار المتدبرين، يقرأها المتدبر فيخرج منها بدستور جامع في التوحيد والدعوة إليه، وما يلزم الدّاعي من قوة في الجدل، وبراعة في أساليبه، وصبر على المقارعة والنضال في سبيله، وقدرة على التحايل في إقناع النفوس الضالة، والعقول التي لا تهضم البرهان، وصبر على جفاء الأقارب،وشدّة وحزم في التبرؤ منهم، وقطع حبالهم »([2]) .

المبحث الثالث: قصة إبراهيم عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية

قبل الخوض في عرض وتحليل قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ،كما ورد بسطها وعرضها فيما خطّته أقلام المستشرقين في الدائرة ارتأيت في البداية أن أعطي تصورا عن دائرة المعارف الإسلامية، وذلك بتعريفها وبيان بعض ما يتعلق بها .

المطلب الأول : تعريف دائرة المعارف الإسلامية

إنّ دائرة المعارف الإسلامية قد ظهرت وبزغت مع بداية ظهور العمل الموسوعي في أوربا في عصر النهضة في مطلع القرن التاسع عشر، والذي بدأ يتطور حتّى أخذ إطاره العام كعمل علمي مميز، ونظرا لاهتمامات المستشرقين بالتراث العربي والدراسات الشرقية فقد بدأوا يفكرون في لمّ وجمع شتات بحوثهم المتفرقة المتعلقة بالدراسات الشرقية في موسوعة علمية جامعة ([3])

وقد تناول بعض الدارسين والباحثين في تاريخ الاستشراق وفلسفته التعريف بدائرة المعارف الإسلامية، وممّا ورد عن بعضهم في بيان كنه حقيقتها وما هيتها قولهم :

«هي موسوعة تعالج الموضوعات التي تتعلق بالعرب والإسلام معا » ([4])، وزاد بعضهم بيان موضوعاتها ومجالاتها البحثية، فقال : « ... وتعنى بالثقافة لإسلامية من دين، وأعلام، ومواقع، وبلدان، وتاريخ، وأفكار، ولغات، وآداب وثقافات، ونحو ذلك من موضوعات ذات صلة بالإسلام والمسلمين، مرتبة ترتيبا ألفبائيا » ([5]).

وبناء على ما تقدّم يمكن القول بأنّ دائرة المعارف الإسلامية هي : «موسوعة علمية تعنى بجمع معلومات في فنون في ميادن شتّى ممّا يخّص التراث العربي الإسلامي، ترتب فيها المسائل والأبحاث العلمية المعروضة ترتيبا ألفبائيا هجائيا» .

وأمّا عن دوافع وبواعث إنشائها فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية :

ـ بروز الحاجة إلى جمع شتات المستشرقين في مسوعة شاملة ([1])

---

[1] ـ آثار محمد البشر الإبراهيمي : ج 1، ص 391 ـ 392 .

[2] ـ آثار محمد البشير الإبراهيمي : ج 1، ص 395 .

[3] ـ ينظر : مباحث السيرة في دائرة المعارف الإسلامية، محمد بن قيدة، ج 1، ص 31 .

[4] ـ فلسفة الاستشراق : أحمد سمايلوفيتش، ص 567 .

[5] ـ ينظر : الموسوعة العربية العالمية، ج 24، ص 394 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ ممّا رسخ في أذهان المستشرقين أثناء عقدهم للملتقيات والمؤتمرات الدولية فيما بينهم،هو ضرورة إنشاء موسوعة علمية شاملة عن حضارة الإسلام، وتاريخ التراث الإسلامي، لكي تجمع أعمالهم وأبحاثهم التي أقيمت حول الحضارة الإسلامية، ممّا يسهل الرجوع إليها، والاعتماد عليها من قبل الباحثين في شأن الدراسات الإسلامية، وتكون مكتوبة باللغات الثلاث الألمانية، والفرنسية، والإنجليزية .

ـ توفير الجهد للمستشرقين

من دوافع فكرة إنشاء هذه الدائرة عند المستشرقين، هو الحرص على توفير الجهد، واختزال مراحل البحث العلمي عند البحث في موضوع من الموضوعات المتعلقة بالدراسات الإسلامية والعربية، إذ يستحيل على الباحث إعمال فكره في قراءات واسعة واستقصائية حتّى يستطيع الوصول إلى مراده، فمثل هذه الأعمال الموسوعية والشاملة من شأنها أن تساعده في الوصول إلى المعلومات بشكل مختصر فيه اليسر والسهولة، مع توفير الجهد والوقت ([2]) .

فهذه الأسباب مجتمعة كانت دافعة وباعثة على إنشاء هذه الدائرة، ففي أواخر القرن التاسع عشر، وبالضبط في المؤتمر العاشر للاستشراق والمستشرقين الذي عقد بمدينة جنيف السويسرية سنة (1849) طرح المشاركون فكرة إنشاء هذه الدائرة التي تبحث في شؤون الحضارة الإسلامية والعربية، وكلّ ما يتعلق بشؤون العرب والمسلمين جغرافيا وتاريخيا، ولغة، وأدبا، وفلسفة، وصنوف الفنون والعلوم المختلفة، وذلك قصد تلبية وتغطية حاجاتهم المعرفية، وقدقوبلت الفكرة بالترحاب والإعجاب، فشكلت على إثر ذلك لجنة علمية للإشراف على هذا العمل الموسوعي، وانتخب أربعة من أقطاب الاستشراق في تلك الفترة للقيام بهذه المهمة، وهم :

المستشرق الألماني : (هوتسما ـ والإنجليزي : (أرنلوند ـ

المستشرق الفرنسي : (باسيه ـ Basset) والألماني : (هارتمان ـ Hartamann) ([3])

ويرى بعض المستشرقين، وهو : « يوهان فوك أنّ المكتبة الشرقية التي نشئت بفرنسا في أواخر القرن السابع عشر ميلادي هي أساس دائرة المعارف الإسلامية، وهذه المكتبة الشرقية في حقيقتها هي : « عبارة عن دائرة معارف شرقية باللغة الفرنسية مرتبة على حروف الهجاء في عدّة مؤلفات تبحث في علوم الشرقيين وتاريخهم وآدابهم وخرافاتهم وأديانهم وعاداتهم وغيرها » ([4]).

وقد قام بإنشائها المستشرق الفرنسي (بارتولوم هيربلو ـ Herbelot) بغرض جمع ما أمكن جمعه من الكتب العربية والتركية والفارسية من العلوم والمعارف، غير أنّ هذه الموسوعة وصفت بالقصور لعدم استيعابها لجميع ما يحتاج إليه من تراث معرفي عند الأمم الأخرى، وذلك لقلة مواردها ومصادرها ([5])، لتحلّ بدلها دائرة المعارف الإسلامية، والتي تميّزت بكثرة ووفرة مصادرها ومواردها، وكثرة المحررين لموادها من المستشرقين، وتعدد البحوث والموضوعات المتناولة .

---

[1] ـ ينظر : مباحث السيرة في دائرة المعارف الإسلامية، محمد بن قيدة، ج 1، ص 32 .

[2] ـ المصدر نفسه : ج 1، ص 32 .

[3] ـ ينظر : تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد، ص 201، ومباحث السيرة في دائرة المعارف الإسلامية، محمد بن قيدة، ج 1، ص 32.

[4] ـ ينظر : تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، ج 4، ص 146، وموسوعة المستشرقين : عبد الرحمان بدوي، ص 603 ـ ص 604 .

[5] ـ ينظر : المستشرقون، العقيقي، ج 1، ص 173 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الخلاصة فهذه نبذة عن دائرة المعارف الإسلامية فيما تعلق بتعريفها، وبيان بواعث وأسباب إنشائها، مع إبراز الإرهاصات الأولى لإقامتها، ارتأينا ذكر ذلك قبل الولوج في استعراض مباحث قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في الدائرة حتّى يكون القارئ والباحث متصورا لحقيقة هذه الدائرة.

المطلب الثاني : عرض قصة إبراهيم عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية

ورد عرض قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في دائرة المعارف الإسلامية في مادة : (آبدست ـإبراهيم)، وهذا نصّ ما جاء فيها : « إبراهيم » : هو أبراهم المذكور في الكتاب المقدس، وورد في (سورة الأنعام، آية)74 أنّه ابن « آزر » وهذا الاسم مشتق فيما يظهر من اسم خادمه (انظر : zeitsch. Der : s . fraenkel deuisch . Morgenl . Gesell، عدد 56، ص 72) .

وأسماء آباء إبراهام كما وردت في الكتاب المقدس هي : تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح، ذكرها الثعلبي، (قصص الأنبياء، ص 44)، وابن الأثير (ج1، ص 67) ؛ ويتفق هذا تماما مع ما ورد في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين الآية 10 ـ 21، وسفر الأيام الأول، الإصحاح الأول، الآية 12 ـ 27 ؛ ويظهر أنّ قينان أضيف إلى هذا النسب وفقا لرواية سفر التكوين، الإصحاح الخامس، الآية 12 . ولد بعد الطوفان بثلاث وستين ومائتين وألف سنة، أو بعد خلق العالم بسبع وثلاثين وثلثمائة وثلاثة آلاف سنة (الثعلبي، كتابه المذكور) . وبمقارنة التواريخ الواردة في سفر التكوين، الإصحاح الخامس الآية 3 ـ 10، والإصحاح الحادي عشر، الآية 10 ـ 25، يتضح أنّ أبراهام ولد بعد نوح بإحدى وتسعين ومائتي سنة، أو بعد خلق العالم بثماني عشرة وتسعمائة وألف سنة . وسرعان ما عمل على تحقيق رسالته بإعلانه حربا مقدسة ضد الملك نمرود . وقد اضطرت أمّه عوشاء إلى أن تلجأ إلى كهف بالقرب من كوثا، وهناك رأى أبراهام نور الحياة للمرة الأولى، (الثعلبي، كتابه السابق، الطبري، ج 1، ص 256 ؛ الزمخشري، ج1، 172، البيضاوي، ج1، ص 133 ابن الأثير، ج 1، ص 96 ؛ ياقوت في مادة « كوثا » ؛ البكري، ص 485، المقدسي، ص 86، بابا باثرا، ص 91، ابن ميمون : دلالة الحائرين، الفصل 29) . وقد دفعت الأحلام المزعجة الملك نمرود إلى مراقبة الحوامل وقتل الذكور من مواليدهن . وزار عماله أمّ إبراهيم للكشف عليها قبل أن يأتيها المخاض، وجسّوا جانبها الأيمن فاختفى الجنين إلى الجانب الأيسر، وجسّوا الأيسر فاختفى الجنين في الجانب الأيمن، فانصرفوا دون أن يظفروا بطائل (الكسائي، ص 115 ـ 120) .

والقصة التي وردت في « سفر هياشار » (فصل نوح) والتي أمر فيها تارخ بذبح ولده أبراهام، فأحلّ محلّه ابن خادمته نجد أصولها في الروايات الإسلامية . ولقد هدته التجربة في صباه، (كتاب النذور « تلموذ نداريم فصل 32 ») إلى معرفة الله، وذكر ذلك في القرآن أيضا (سورة الأنعام، الآية 75 ـ 79) ولما ترك الغار ميمما شطر بيت أبيه جنّ عليه الليل فرأى كوكبا : (قال هذا ربيّ فلما أفل قال لاأحبّ الآفلين، فلمّا رأى القمر بازغا قال هذا ربّي فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربّي لأكونّن من القوم الضالين فلمّا رأى الشمس بازغة قال هذا ربّي فلمّا أفلت قال ياقوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » . ونجد كذلك هذه القصص في الكتاب العبري « غصن الأدب » (شبط موسر، أزمير 1729، ص 109 ـ 111)، وفي «سفر هياشر » (فصل نوح) . ومن بين القصص المختلفة (الثعلبي، ص 45 ـ 47 ؛ الكسائي، ص

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

125 ـ 140) . التي تصف نضال إبراهيم مع نمرود والتي أخذت مكانها في الآداب العبرية المتأخرة (; Hammidr Beth gellinek، ج 1، ص 25 ـ 34 ؛ سفر هياشار فصل نوح ؛ سفر إلياهو زوطا، فصل 25 ؛ المعلم اليعاذر : الفصول، فصل 32) نذكر هنا القصة الآتية المستمدة من القرآن (سورة الأنبياء، آية 59 ـ 67) ومن سفر التكوين الكبير (فصل 38) وهي : خرج قوم إبراهيم ذات يوم من المدينة لتقديم القرابين لآلهتهم، وتمارض إبراهيم، فبقي في المدينة ثمّ حمل فأسا وذهب إلى معبد الآلهة حيث كانت الموائد محملة بالأطعمة، وقال يخاطب هذه الأوثان : ما لكم لا تأكلون ؟، ثمّ حطم يدووثن وقدم آخر ورأس ثالث، وترك الفأس في يد كبيرهم ووضع أمامه عدّة صحاف من الطعام، ولما عاد قومه ورأوا ما حلّ بآلهتهم اتهموه، «قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون، ثمّ نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، قال أفتعبدون من دون الله ما لاينفعكم شيئا ولا يضركم، أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » .

فألقوه في النار، ولكنّه خرج منها سالما بعد أن ظلّ فيها ثلاثة أيام أو سبعة (انظر الثعلبي، والكسائي)، ودحر نمرود بينما سار إبراهيم وأتباعه إلى فلسطين وسمي منذ ذلك الحين خليل الله (الكسائي والثعلبي، يتبعان في ذلك « أشعيا » 4، 8 ؛ وكتاب السبت 137؛ وكتاب الهدايا 53) ولما كان في مصر أخذت زوجته الجميلة « سارة »إلى قصر فرعون (سفر التكوين، الإصحاح 12، الآية 10 ـ 20 ؛ الثعلبي، ص 44 ؛ الطبري، ج 1، ص 225، ابن الأثير، ج 1، ص 72) فادّعت أنّه أخوها حتّى لا يقتل بسببها، ولم تكن في ذلك كاذبة، لأنها كانت أخته في الدين . وما أن حاول فرعون مسّها حتّى شلت يده ولكنّها برئت بعد أن أخلى سبيلها . وقد احتفر إبراهيم بئرا عذبة في مدينة سبع بفلسطين، ولما ذرعا بالسكان اضطر إلى الهجرة من تلك المدينة فجفت البئر بعد رحيله (سفر التكوين، الإصحاح 21، ؛ والثعلبي وابن الأثير) فخف السكان في أثره يرجون عودته ولكنه أبى ثمّ منحهم سبع نعاج (سفر التكوين، الإصحاح 16، الآية 30 à توضع على البئر فما يلبث الماء أن يفيض من جديد . ولما شربت امرأة حائض من هذه البئر غاض ماؤها مرة أخرى . وعندما بلغ العشرين بعد المائة أجرى لنفسه عملية الختان (الثعلبي، ص 59) . وتوفي في الخامسة والسبعين بعد المائة ودفن في مقبرة الأسرة في خبرون (انظر مادة «الخليل») .

وسوف يجلس إبراهيم عن يسار الله يوم الدين ويقود المتقين إلى الجنة (الثعلبي، ص 60 ؛ سفر التكوين، فصل 48)

ج . أيزنبرج. j.Eisenberg

كان سبرنجر (ج2، ص 276 وما بعدها،Leben : sprenger ، und Lehre des Mohammad)

أول من لاحظ أنّ شخصية إبراهيم كما في القرآن مرت بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الأمر مؤسسة للكعبة .وجاء سنوك هجرونييه (ص 20 وما بعدها، Het MekkaanscheFeest) بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال : إنّ إبراهيم في أقدم ما نزل من الوحي (الذاريات آية 24، وما بعدها ؛ الحجر، آية 5 وما بعدها؛ الصافات، آية 81، وما بعدها ؛ الأنعام، آية 74 وما بعدها ؛ هود، آية 72 وما بعدها ؛ مريم، آية 42 وما بعدها ؛ الأنبياء،آية 52 وما بعدها ؛ العنكبوت، آية 15، وما بعدها) هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل، ولم تذكر لإسماعيل صلة به، وإلى جانب هذا يشار إلى أنّ الله لم يرسل من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبل إلى العرب نذيرا (السجدة،آية 2 ؛ سبأ، آية 43 ؛ يسن، آية 5) ولم يذكر قط أنّ إبراهيم هو واضع البيت ولا أنّه أول المسلمين .

أمّا السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك، فإبراهيم يدعى حنيفا (انظر هذه المادة) مسلما، وهو واضع ملة إبراهيم، ورفع مع إسماعيل قواعد بيتها المحرّم ـ الكعبة ـ (البقرة، آية 118 وما بعدها ؛ آل عمران، آية 60، 84 ... إلخ) وسر هذا الاختلاف أنّ محمدا كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء فلم يكن له بدّ من أن يلتمس غيرهم ناصرا، هناك هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام، ولما أخذت مكة تشغل جلّ تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس» .

(قنسنك A .J . wensinck)

لقد اشتمل هذا النصّ المنقول من مادة : ـ إبراهيم ـ عن دائرة المعارف الإسلامية، والمخصص لعرض وبسط شيء من قصة نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ، و الذي توّلى كتابته كلّ من المستشرقين : (أيزنبرج ـ قنسك) على جملة من المغالطات العلمية، وبعض من المجازافات الجريئة الخطيرة المعارضة لقواعد البحث العلمي الذي يقتضي الموضوعية والدقة والتحري والإنصاف في البحث، فضلا عمّا نسج وحيك فيه من بعض الشبهات التي يقصد منها تشويه الشريعة، والتشكيك في رسالة الأنبياء، والتجرء عليهم بالقدح في عصمة النبوة، والحط من قدسية الرسالة، وحتّى لا يكون ما ذكرته تجنيا وتأليا عليهما، كان ولابد من تحليل مضمون مقالتهما ومناقشته لنبيّن صحة ما قلناه وأوردناه، فهذا ما تقتضيه طبيعة البحث .

- **المسألة الأولى :**

ذكر كاتبا المقالة أنّ نسب إبراهيم ـ عليه السلام ـ كما ثبت في الكتاب المقدّس هو : « إبراهيم تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح »، و أمّا القرآن الكريم فقد أخبر بأنّ اسم أبيه هو : « آزر » وقد عزيا هذه التسمية فيما نقلاه عن بعض المستشرقين احتمال أن تكون مشتقة من اسم خادم أبيه .

وجه الشبهة : قد يفهم من سياق هذا الكلام أنّ ما ورد في شأن اسم أبي إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنّه معارض لما ذكره القرآن من أنّ اسمه هو آزر، وحتّى يزول هذا الإشكال يمكن أن نقول :

إنّ جلّ من اعتى بالتصنيف في التواريخ والأخبار، واحتفى بالتأليف في سير وقصص الرسل والأنبياء يجمعون على النسب المذكور في الكتاب المقدّس ويتفقون عليه، فممّن نقل هذا النسب الإمام الطبري، حيث قال : « إبراهيم تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح » ([1]) .

وممن أثبت هذا النسب أيضا الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ، فقال : « إبراهيم تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشد بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ، هذا نصّ أهل الكتاب في كتابهم » ([2]) .

---

[1] ـ تاريخ الرسل والملوك : ج 1، ص 233 .

[2] ـ قصص الأنبياء : ج 1، ص 167 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيد أنّ الحافظ بن كثير قد أسقط اسم قينان ولم يورده، وأثبته الإمام الطبري . وقد حكى صاحبا المقالة أنّ هذا الاسم الأخير السالف الذكر « قينان » يحتمل أن يكون ممّا أضيف وزيد في النسب وفق ما هو موثق في سفر التكوين في الإصحاح الخامس في الآية الثانية عشر .

وأمّا فيما يتوهم فيه تعارض بشأن تسمية القرآن الكريم أب إبراهيم ب: آزر، مع ما هو مثبت في الكتب المقدسة والتواريخ والأخبار من أنّ اسمه : تارح، فنقول : إنّه لم يفت أئمة المسلمين من أعلام التفسير التعرض لهذه القضية، ولم يغفلوا عن توجيه ذلك . وقد ورد عن كثير منهم بيان لهذا الإشكال .

إنّ الناظر في كتب التفسير على اختلاف اتجاهاتها يجد اختلافا بينهم في تحديد وتعيين المسمى باسم آزر الوارد في سورة الأنعام، فذهبت جماعة إلى القول بأنّ آزر هو أبو إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ونسب هذا القول إلى جماعة من السلف كالسدّي، ومحمد بن إسحاق، وسعيد بن عبد العزيز، وذهب طائفة أخرى إلى عدم إثبات أبوّته لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ، ونسب هذا الرأي أيضا إلى جماعة من السلف كمجاهد، وجعلوا آزر اسما لصنم، وقالت طائفة أخرى إنّ هذه الكلمة كلمة سوء وعيب عندهم تلفظ بها إبراهيم وعاب بها أباه في عدوله وميله عن الحق بعبادة الواحد الأحد وعبادة الأصنام، وقد أورد هذه الأقوال جميعها الإمام ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ([1])، وغيره من المفسرين .

والجمع بين ما ذكره القرآن الكريم من اسم آزر، وما ورد في كتب بني إسرائيل والتواريخ والقصص من اسم تارح ممكن على فرضية واحتمال أن يكون لأب إبراهيم ـ عليه السلام ـ اسمان، آزر وتارح . وهذا واقع لكثير من الأعلام والأشخاص، ومنهم الأنبياء، فنبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ له اسمان : « يعقوب وإسرائيل »، ويقوي هذا القول والرأي أن وجد من قال به من السلف وجنح إليه، فقد أخرج الإمام الطبري في جامعه عن عبد العزيز بن سلمة أنّه قال : « هو آزر، وهو تارخ، مثل إسرائيل ويعقوب»([2]).

وهذا رأي وجيه يمكن الأخذ به والاعتماد عليه في إزالة هذا الإشكال لا سيّما وقد ورد عن بعض أئمة التابعين، وممّا هو مقرر في أصول التفسير أنّ أحسن طرق التفسير بعد القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة، هو الرجوع إلى أقوال التابعين لما لهم من العلم بمعاني القرآن الذي أخذوه عن الصحابة رضوان الله عليهم، ولما خصّوا به من العلم باللسان العربي، وغير ذلك من مؤهلات الاجتهاد والنظر في معاني القرآن الكريم التي كانت خصيصة لهم دون من جاء بعدهم .

ولقد ذهب الإمام الطبري إلى تأكيد اسم آزر لأب إبراهيم ـ عليه السلام ـ، لأنّه هو الذي حفظه القرآن وأخبر به، كما جوّز احتمال أن يكون له اسمان كما ذكرنا، فقال : « ... فأولى القولين بالصواب منهما عندي قول من قال : هو اسم أبيه لأنّ الله تعالى ذكره أخبر أنّه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائله أنّه نعت، فإن قال قائل : فإنّ أهل الأنساب إنّما ينسبون إبراهيم إلى «تارح »، فكيف يكون «آزر » اسما له، والمعروف به من الاسم « تارح » ؟ قيل له : غير

[1] ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 11، ص 466 ـ 477 .
[2] ـ المصدر نفسه : ج 11، ص 466 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محال أن يكون له اسمان، كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم .وجائز أن يكون لقبا لقّب به»([1])

وقد علّق الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ على رأي الإمام الطبري واختياره في هذه المسألة واصفا رأيه بالقوي والجيّد، فقال ـ رحمه الله ـ : « ... ثمّ قال ابن جرير : والصّواب أنّ اسم أبيه هو آزر، ثمّ أورد على نفسه قول النّسابين أنّ اسمه تارح، ثمّ أجاب بأنّه قد يكون له اسمان، كما لكثير من الناس، أو يكون أحدهما لقبا . وهذا الذي قاله جيّد قويّ والله أعلم » ([2]) .

وعلى ضوء ما تقرّر يزول الإشكال المتوهم بين تعارض ما أخبر به القرآن من أنّ اسم أب إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو :« آزر» وبين ما ورد في كتب بني إسرائيل والنّسابين من أنّ اسمه « تارح » .

- **المسألة الثانية :**
- ذكر كاتبا المقالة أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يرد له ذكر في القرآن المكي، كما لم يشر القرآن المكي إلى إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ ولم يتعرض لتفاصيل بناء الكعبة، بالإضافة إلى عدم وصف القرآن المكي ـ لإبراهيم عليه السلام ـ بالحنيف المسلم، ولا بكونه أوّل المسلمين، بخلاف القرآن المدني الذي وصف فيه نبينا إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالحنيف المسلم وصاحب الملّة الحنفية، كما أنّ السور والآيات المدنية هي التي تعرّضت لتفاصيل بناء إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ للكعبة، والسبب في ذلك حسب مزاعم هؤلاء المستشرقين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم اعتمد في مكة على اليهود، فلمّا عادوه بحث عن ناصر جديد له، فلم يجد بدّا من اختراع قصة إبراهيم أبي العرب، وبذلك ينفصل عن يهوديته القائمة في عصره ليتصل بيهودية إبراهيم عليه السلام، وكانت هي اليهودية الممهدة والموطئة للإسلام، ونظرا لاشتغاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة وأخذها للبه وعقلها وتأثيرها عليه صار إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو مؤسس وواضع بنيان البيت الحرام .
- إنّ النّاظر في حقيقة هذه الدّعاوى والمزاعم يلفيها منطوّية على جملة من المغالطات والأباطيل، ولا يعدو ما ذكر أن يكون رجما بالغيب، فهي تفتقر إلى الدليل والبرهان العلمي، بل الواقع العلمي يدحض جلّ ما أورده هؤلاء المستشرقون، وهذا ما أسعى للتدليل عليه، وتفنيد كلّ شبهة أوردوها في هذا السياق

أولا: ادّعاؤهم خلو السور والآيات المكية من ذكر قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ

إنّ القارئ للقرآن الكريم يجد في السور والآيات المكية ذكرا لأبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ وعرضا لبعض قصته، بل يجد تعرضا من الوحي المكي لقصة إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وبناءهما للبيت الحرام، فهذه سورة إبراهيم وهي من السور المكيّة بإجماع المفسرين إلاّ آيتين منها اتفقوا على أنّهما نزلتا بالمدينة ([3])، وهما قوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ ﴾ إبراهيم: ٨٢ - ٩٢

[1] ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن : ص 468 ـ 469 .

[2] ـ تفسير القرآن العظيم : ج 3، ص 289 .

[3] ـ ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي،ج 5، ص 3767 ، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ج 1، ص 428 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نلفيها تعرّضت لذكر إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ودعائه المولى جلّ وعلا بأن يجعل البلد الحرام آمنا، وسؤاله لمولاه بأنّ يجنّبه عبادة الأصنام لأنّهن أضللن كثيرا من الناس، ودعائه له أيضا بأن يغدق على هذا البيت من الثمرات والخيرات، ثمّ حمده لله جلّ وعلا على وهبه الولد بعد الكبر، وفي هذا يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٥ - ٣٩

فهذه الآيات البيّنات تفنّد مزاعم هؤلاء المستشرقين في عدم تعرّض القرآن المكي لقصة نبي الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ وصلته بابنه إسماعيل ـ عليه السلام ـ على حدّ قولهم .

ثانيا : زعمهم وادّعاؤهم أنّ القرآن المكي لم يصف إبراهيم ـ عليه السلام ـ بكونه أوّل المسلمين وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم هو من وصفه به، وأنّ هو الذي أطلق عليه اسم الحنيف .

إنّ دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه للبشرية والخليقة جمعاء، قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ ﴿١٩﴾ ﴾ آل عمران: ٩١، فجميع رسل الله وأنبياؤه مسلمون فدينهم واحد، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم التي كلّفوا بها وأمروا بتبليغها، فقد صحّ عنه صلى الله عليه وسلم قوله : «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّت، أمهاتهم شتّى ودينهم واحد » ([1])، قال الشّراح في معنى الحديث : قوله : « دينهم واحد »، أي التوحيد دون الفروع للاختلاف فيها، قال تعالى : « لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » . ويقال : دينهم أي : أصول الدين وأصول الطاعات واحد، والكيفيات والكميّات في الطاعة مختلفة » ([2])، وقال تعالى واصفا رسالة نبيّه صلى الله عليه وسلم : « ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الصافات: ٧٣، والحقّ الذي جاء به صلى الله عليه وسلم هو التوحيد، وتصديقة للمرسلين هو إتيانه بما أتوا به([3])، وأخبر جلّ وعلا عن نفسه بأنّه هو الذي سمّانا مسلمين، فقال : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج:

[1] ـ أخرجه مسلم : كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، ج 4، ص 1837، رقم 2365 .
[2] ـ ينظر : عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ج 16، ص 36 .
[3] ـ ينظر : زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج، 3، ص 340 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٧ ، وأخبر ربّنا جلّ وعلا في كتابه أنّ إبراهيم عليه السلام دعاه هو وابنه أن يجعلهما مسلمين له، فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ ﴿١٢٨﴾ ﴾ال بقرة: ٨٢١

، فإطلاق لفظ الإسلام ليس بدعا على النبي إبراهيم ــ عليه السلام ــ، بل قد تسمّى به جميع الأنبياء ووصفوا به، فهذا نبي الله نوح عليه السلام يخبر عن نفسه بأنّه أمر أن يكون أوّل المسلمين، قال تعالى : ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يونس: ٢٧ ، وهذا نبي الله يوسف عليه السلام يسأل ربّه أن يتوفاه مسلما، ويلحقه بالصالحين، فقال تعالى : « ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١ ، ونظائر هذا كثير في القرآن الكريم، والمتأمل في القرآن الكريم يظهر له وصف نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ بالإسلام، لكن لم يقل عنه قط بأنّه أولّ المسلمين، فالموصوف بذلك في سورة الأنعام هو النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وفي هذا يقول بعضهم ([1]) : « ونظرة في القرآن تطلعنا على أنّ إبراهيم ــ عليه السلام ــ قد وصف فيه بأنّه « مسلم»، لكن لم يقل عنه قط إنّه « أوّل المسلمين »، بل الذي وصف بذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم :﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ ، ليس ذلك فحسب، بل إنّ إبراهيم ليس هو الوحيد من بين السابقين على الرسول عليه السلام الذي وصف في القرآن بأنّه مسلم، فقد قال نوح ــ عليه السلام من قبله : ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يونس: ٢٧ ، كما وصف لوط وآله بالإسلام، إذ جاء على لسان الملائكة الذين بعث الله بهم لتدمير قومه قولهم :﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾الذاريات: ٦٣، وقد كان لوط معاصرا لخليل الله إبراهيم، ويقول يوسف مبتهلا إلى الله ربّه : ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١، وحين هدّد فرعون سحرته بعد أن انفضوا عنه وآمنوا بموسى ــ عليه السلام ــ تضرّع هؤلاء السّحرة إلى الله قائلين : ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾الأعراف: ٦٢١ ، وهذا كلّه في الوحي المكي، أمّا في المدني فنسمع الحواريين يقولون لعيسى ــ عليه السلام ــ : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾المائدة: ١١١.

[1] ــ ينظر : دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، إبراهيم عوض، ص 230 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا : ادّعاؤهم وزعمهم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم تخلّص من يهودية عصره بمكة وربط نفسه بيهودية إبراهيم عليه السلام في المدينة .

لقد افترى كاتبا هذه المقالة فرية مفادها أنّ النبي محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أثناء مقامه بمكة اعتمد في دعوته على اليهود، فلمّا ناصبوه العداء بحث عن حليف وظهير له، فهداه دهاؤه لربط دعوته برسالة إبراهيم عليه السلام والتي كانت قائمة على اليهودية، وفي هذا الزعم من البطلان ما هو بيّن وظاهر للقارئ والباحث الموضوعي المنصف، ذلك أنّ إبراهيم عليه السلام لم يكن في يوم من الأيام يهوديا ولا نصرانيا، بل كان حنيفا مسلما، والحنيف هو المستقيم والمخلص دينه لله تعالى، ودين الله هو الإسلام كما سباق بيانه، فلم يكن نبي الله إبراهيم عليه السلام في يوم من الأيام مشركا، ولم يدن بديانة اليهود والنصارى البتة، بل دان بدين الإسلام الذي ارتضاه الله له وللخلائق أجمعين، ولقد أمر ربّنا جلّ وعلا نبيّه صلى الله عليه وسلم بالرّد على اليهود والنصارى الذين أمروه باتباع ملتهم هو وأصحابه حتّى يهتدوا، ويكونوا على الصراط السويّ والنهج المستقيم، بأن يخبرهم بأنّه متبع ومنتهج لملّة إبراهيم ـ الحنفية المسلمة ـ، فقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥ ﴾ال بقرة: ٥٣١

قال الإمام أبو جعفر الطبري ـ رحمه الله ـ : « احتجّ الله لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم أبلغ حجة وأوجزها وأكملها، وعلّمها محمدا نبيّه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا محمد قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك «كونوا هودا أو نصارى تهتدوا » بل تعالوا نتبع ملّة إبراهيم التي يجمع جمعينا على الشهادة لها بأنّها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به ـ فإنّ دينه كان الحنفية المسلمة ـ وندع سائر الملل التي اختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقرّ بها بعضنا . فإنّ ذلك ـ على اختلافه ـ لا سبيل لنا على الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملّة إبراهيم » ([1]) .

هذا ولقد نفى القرآن الكريم نفيا قاطعا بما لايدع مجالا للريبة والشك أن يكون نبيّ الله إبراهيم عليه السلام ـ قد تلبّس بلباس اليهودية، أو انتحل ديانتهم، فقال جلّ وعلا : ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾ آل عمران: ٧٦

فاللّه جلّ وعلا كذّب في هذه الآيات دعوى اليهود والنّصارى في أنّ إبراهيم عليه السلام كان على ملّتهم، و برّاه ممّا نسبوه إليه بهتانا وزورا، ومن أصدق من الله حديثا .

رابعا : مصادر ومراجع دائرة المعارف الإسلامية في عرض قصة إبراهيم عليه السلام من حيث ميزان النقد العلمي .

إنّ الملاحظ والمسجّل على المصادر التي استقيت منها قصة إبراهيم في دائرة المعارف الإسلامية أنّها تنقسم إلى قسمين اثنين هما :

أولا : الكتب المقدّسة التوراة، والإنجيل، مع الاستشهاد في بعض الأحيان بالقرآن الكريم على تلك القصص والمرويات المثبتة في الأسفار والإصحاحات .

[1] ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج 3، ص 102 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : كتب قصص الأنبياء والتاريخ التي صنّفها المسلمون، والتي استعرضت أحداثا وأخبارا من قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

أمّا بالنسبة لما جاء من مرويات وأخبار من الكتب المقدسة في أسفارهم وإصحاحاتهم عن شأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ورسالته ونبوّته، وأحواله مع قومه في سبيل نشر دعوته، فإنّه يمكن القول بأنّ ما ورد في هذه الكتب من أخبار ومرويات تتعلق بالقصص القرآني، وبقصص الأنبياء على وجه الخصوص تذكر على وجه الاستشهاد لا الاعتقاد، أي اعتقاد صحتها، ثمّ إنّ هذه الأخبار كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره من المفسرين أنّها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يعلم صحته ممّا بأيدنا ممّايشهد له بالصدق، فذاك صحيح

الثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا ممّا يخالفه

الثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته ...([1]) .

وعليه فإنّ ما ورد من أخبار ومرويات متعلقة بقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ من تلك الكتب إن وجدنا أصولها في القرآن الكريم فيما قصّه ربنّا جلّ وعلا من نبأ إبراهيم قبلناه ولم نردّه، ويجوز إيراده للاستشهاد والاعتضاد ولا حرج في ذلك، وقد أورد كاتبا هذه المقالة أخبارا تتعلق بكيفية اهتداء إبراهيم ـ عليه السلام ـ لمعرفة الله ورؤيته للكوكب والقمر والشمس، وتحطميه للأصنام وإنكاره على قومه عبادتهم إيّاها، فهذه أصولها مذكورة في القرآن الكريم، وكذلك الشأن في قصة إبراهيم وزجته سارة عندما أخبر عنها الملك الذي أراد أن يأخذها لنفسه بأنّها أخته، فهذه مذكورة ومروية في كتب السنّة([2]) وهي من الكذبات التي عدّت لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وهي في الأصل ليست في الكذب من شيء، بل هي من المعاريض، وأمّا ما عدا ذلك ممّا ورد من مرويات وقصص فهي مندرجة ضمن القسم الثالث من أقسام الإسرائيليات، والتي هي من قبيل المسكوت عنه، فتجوز حكايتها وروايتها . ولهذا أولع الإخباريون وأصحاب التواريخ بمثل هذه النقولات عن أهل الكتاب، فتجد في مصنفاتهم ومؤلفاتهم ضروبا من هذا القصص المتعلق بأخبار الأنبياء .

وأمّا القسم الثاني من المصادر التي أخذت منها مادة إبراهيم في دائرة المعارف الإسلامية فهي كما أسلفنا القول مصادر تارخية متجسدة ومتمثلة في كتب التاريخ والقصص، وغير خاف عند أهل العلم أنّ هذه المصنفات لم يسلك مصنفوها مسلك المحدثين في التعامل مع الرواة والمرويات من اشتراط الصحة في الرواة، والتنقير والتفتيش عن أحوالهم جرحا وتعديلا، ليتميز المقبول من المردود، والصحيح من الضعيف في تلك الروايات، فهم لم يطبقوا المنهج النقدي الذي صاغه أئمة الحديث وقعدّوه في رواية السنة النبوية، والذي عدّ منهجا فريدا خالصا كان لهم قصب السبق في ابتكاره وتفعيله، وعن تفردهم بهذاالمنهج في التعامل مع الرواة والمرويات سجلت شهادات لكثير الباحثين من العرب والعجم، ومن تلكم الشهادات المدونة والاعترافات المسجلة شهادة المؤرخ الدكتور أسد رستم الذي يقول : « وأول من نظم نقد الروايات التاريخية ووضع القواعد لذلك هم علماء الدين الإسلامي، فإنّهم اضطروا اضطرار للاعتناء بأقوال النبي، وأفعاله لفهم القرآن وتوزيع العدل، فقالوا : «إن هو إلاّ وحي يوحى، ما تلي منه فهو القرآن وما لم يتل منه

---

[1] ـ ينظر : مقدمة في أصول التفسير، شرح مساعد الطيّار، ص 256، وتفسير ابن كثير، ج 1، ص 9 .

[2] ـ ينظر : صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء،باب قول الله تعالى : «واتخذ الله إبراهيم خليلا» ج 4، ص 140، رقم 3358، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .، وينظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم عليه السلام، ج4، ص 1840، رقم2371 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو السنة»، فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها، فأتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال في أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتّى يومنا هذا ... » ([1]) .

هذا ولم يغفل المحدثون والمعتنون بقواعد الجرح والتعديل من المتقدمين والمتأخرين كيفية التعامل مع الروايات التاريخية، وهل تنزل منزلة المرويات الحديثية في التعامل معها بذلك المنهج النقدي الأصيل الفريد، أم يسلك معها مسلك آخر؟، ونظرة مختصرة وموجزة إلى آرائهم في المسألة تظهر أنّهم لا ينزلون الروايات التاريخة منزلة المرويات الحديثية ولا يعاملونها تلك المعاملة إلاّ إذا كانت تلك الروايات التاريخية مشتملة على شيء من العقيدة وأمور الشريعة والديانة، فإنّهم يلزمون بضرورة التعامل بمنهج النقد الحديثي، فيشترط عند ذلك عدالة الناقلين، وضبط الرواة، وما سوى ذلك فيتساهل ويتسامح مع تلك الأخبار بشروط، وعن هذا المنهج يفصح الدكتور أكرم ضياء العمري بقوله : «وأمّا اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة والشريعة ففيه تعسف كثير، والخطر النّاجم عنه كبير ؛ لأنّ الروايات التاريخية التي دوّنها أسلافنا المؤرخون لم تعامل معاملة الأحاديث، بل تمّ التساهل فيها، وإذا رفضنا منهجهم فإنّ الحلقات الفارغة في تاريخنا ستمثل هوة سحيقة بيننا وبين ماضينا ممّا يولد الحيرة والضياع والتمزق والانقطاع ... لكن لا يعني ذلك التخلي عن منهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات التاريخية، فهي وسيلتنا إلى الترجيح بين الروايات المتعارضة، كما أنّا خير معين في قبول، أو رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ أمتنا، ولكن الإفادة منها ينبغي أن تتم بمرونة، آخذين بعين الاعتبار أنّ الأحاديث غير الرويات التاريخية، وأنّ الأولى نالت من العناية ما يمكنها من الصمود أمام قواعد النقد الصارمة » ([2]) .

إنّ عدم إعمال المؤرخين لمنهج المحدثين في التعامل مع الروايات التاريخية، من نقد للأسانيد والمتون، والتنقير والتفتيش عن رواتها لا يعني بالضرورة غياب المنهج النقدي في كتاباتهم التاريخية، لأنّ روايتهم لتلك الوقائع والأحداث كانت تقوم على الانتخاب والانتقاء من جملة من المصادر والمراجع التي جعلها المؤرخ عمدة له في تدوين تلك الأخبار، وهذه في حدّ ذاتها تعدّ منهجا نقديا، لكنّه يحصل تفاوت واختلاف بين المؤرخين في درجات ومقاييس الانتقاء من مؤرخ إلى آخر، ويوضح الدكتور أكرم ضياء العمري هذا المعنى بقوله : « إنّ المنهج النقدي الإسلامي كما أشرت من قبل استخدم مع الأحاديث والآثار المرفوعة والموقوفة على الصحابة، ولم يستعمل إلاّ نادرافي نطاق الرواية التأريخية والأدبية، حيث لم يكن المؤرخون في القرون الإسلامية الأولى ينقدون الخبر التاريخي بل كانوا يقومون بالجمع الشامل والانتقاء، ولا ريب أنّ الانتقاء (الانتخاب) يدخل ضمن الأعمال النقدية بالجملة، ولكن ذلك يتوقف على مدى دقة مقاييس المنخب في كتابه وشروطه . ومن هنا فلا يمكن القول أنّ (تاريخ الطبري) خال من أي عمل نقدي ما دام الطبري قد انتخب مادته من المكتبة التاريخية التي وقف عليها في عصره . ولكن من جملة ثانية لا يمكن عدّ الطبري قد قام بعمل نقدي للأسانيد والمتون مثل عمل البخاري ومسلم في صحيحيهما، لأنّه لم يشترط الصحة في كتابه، بل لم يشأ أن يتحمل مسؤولية الأخبار التي صرّح بأنّ العهدة فيها على الراوي وليس عليه » ([3]) .

---

[1] ـ مصطلح التاريخ : أسد رستم، (المقدمة،ص 39) .

[2] ـ دراسات تاريخية : ص 17 .

[3] ـ مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين ومرويات الأخباريين، ص 21 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالنظر إلى المصادر التاريخية العربية التي اغترفا منها كاتبا مقالة مادة إبراهيم ـ عليه السلام ـ نجدها تتركز وتتلخص في كتاب تاريخ الرسل والملوك للإمام الطبّري (311 هـ)، والكامل في التاريخ لابن الأثير(630 هـ)، وعرائس المجالس للثعلبي (427 هـ)، وقصص القرآن الكريم للحافظ ابن كثير (774 هـ)، وإذا ما أردنا أن نخضع هذه المصادر إلى ميزان النقد العلمي من حيث التزامها الصحة في رواية الأخبار، فنقول على سبيل النقد الإجمالي لها :

أولا : تاريخ الرسل والملوك للطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير

إنّ الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ لم يسلك في تاريخه مسلك المحدثين كما أسلفنا القول سابقا في طريقة التعامل مع الرويات التاريخية بنقد الأسانيد والمتون، والتنقير والتفتيش والتنقيب عن أحوال الرواة، بل اكتفى بإيراد الأخبار مسندة إلى أصحابها من الرواة، وأحال الواقف على كتابه إلى النظر في صحة تلك الأخبار وتمحيصها، وقد أبان عن منهجه ذلك في مقدمته قائلا: « وليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه ممّا اشترطت أنّي راسمه فيه إنّما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلّا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه من أجل أنّه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنّما أوتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنّما أدينا ذلك على نحو ما أدّي إلينا » ([1])

فهذا منهج الطبري في تاريخه، فلا غرو ولا عجب إذن أن يكون فيه من الأخبار الواهية والغرائب الضعيفة، والإسرائيليات بسبب روايته عن رواة لم تتحقق فيهم الشروط المعتبرة في الرواة من العدالة والسلامة من الكذب والوضع، علاوة ما ينتحله بعض الإخباريين من نحل، ويعتقدونه من اعتقادات فاسدة وباطلة، وميول حزبية سياسية يكون لها تأثير على مجريات رواية الأحداث والوقائع، فيكون في ذلك تزييف وتشويه لكثير من الحقائق، وغالب ما نقل عنه في دائرة المعارف الإسلامية ممّا تعلق بقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو من الإسرائيليات . وقد سبق بيان منهج العلماء في التعامل مع تلك المرويات، وأمّا كتاب الكامل في التاريخ للإمام ابن الأثير، فيقال فيه ما يقال في تاريخ الطبري، ذلك أنّه ـ ابن الأثير ـ جعل تاريخ الطبري موردا من موارده، ومرجعا من مراجعه، بنى عليه جلّ كاتبه، وقد قال معربا ومفصحا عن ذلك : « ... فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعوّل عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها ... » ([2]) .

[1] ـ تاريخ الرسل والملوك : ج 1، ص 7 .

[2] ـ الكامل في التاريخ : ج 1، ص 6 ـ 7 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا : كتاب عرائس المجالس للثعلبي، وقصص القرآن لابن كثير

أمّا كتاب عرائس المجالس للإمام الثعلبي فهو مشحون ومملوء بالغرائب والأخبار الواهية والإسرائيليات، بل حتّى الموضوعات . وهذا منهج غالب على الإمام الثعلبي في جميع مصنفاته، ومنها كتابه في التفسير، ولقد نعته الأئمة بنعوت مفادها أنّه كان كثير الرواية والسماع، لكنّه حاطب ليل لايميز بين صحيح وسقيم فيما ينقله ويحتج به من الأحاديث والآثار، لذلك كانوا يحذرون من كتبه نظرا لما اشتملت عليه من الأحاديث والآثار التي لا يوثق به، فلم يجيزوا النظر والنقل منها إلاّ لمن كان بصيرا بالتميز بين الأسانيد وله دراية بمعرفة الصحيح من الضعيف، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام الثعلبي قائلا : « ... والثعلبي هو نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع » ([1])، وقال في وصفه الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « وممّن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي ويقال الثعلبي أيضا، ـ وهو لقب أيضا وليس ـ بنسبة، النيسابوري المفسّر المشهور، له التفسير الكبير، وله كتاب العرايس في قصص الأنبياء عليهم السلام، وغير ذلك، وكان كثير الحديث واسع السماع، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير » ([2]) .

وكتاب العرائس من هذا القبيل فهو مصنف عند العلماء من الكتب المشتملة على الإسرائيليات والأخبار الواهية والضعيفة والموضوعة، فهو لايوثق به من جهة الأخبار، ولذا كانوا يفضلون في باب قصص الأنبياء عليه كتاب الحافظ ابن كثير لبصره وعلمه بالحديث ورجاله مقارنة به .

وأمّا كتاب قصص الأنبياء للحافظ عماد الدن بن كثير، فهو من أحسن كتب القصص في هذا الشأنّ، وقد استلّ مادته من تاريخه الكبير ـ البداية والنهاية ـ، والحافظ في نفسه من المحدثين الذين لهم خبر ودراية بالحديث ورجاله، وبالعلل والأسانيد، إذا ما قورن بالإمام الثعلبي فهو أعلم منه بالحديث، وقد كان كتابه هذا مرجعا وموردا لجلّ من جاء بعده، ذلك أنّه اعتمد في نقل أخبار الأنبياء على ما جاء في القرآن الكريم وعرض فيفسره ويحلله، ويعضدّ ذلك بما ورد في السنة مع التنبيه على درجة تلك الأخبار مع تخريجها من كتب الحديث، كما يعتمد على روايات المؤرخين من أمثال الطبري، وابن عساكر، وينتقي في الغالب من تلك الروايات ما لا يتعارض مع القرآن والسنة، كما أنّ أخبار أهل الكتاب ومروياتهم تشكل مصدرا مهما لكتابه، لكنّه وقف منها وقف النبيه الفطن الذي يحسن النقل، فيورد تلك الأخبار مع بيان رأيه فيها غالبا، ويعمل منهج العلماء في التعامل معها، فما كان موافقا للقرآن أو السنة ذكره، وما كان باطلا مخالفا لما عندنا أعرض عنه وبيّن بطلانه، وإن لم يكن هناك دليل على صحتها، أو بطلانها فهو يوردها متحفظا ومتوقفا فيها حتّى لا يصدقهم أو يكذبهم، وقد قام الحافظ ابن حجر رحمه الله ـ بلتخيص هذا الكتاب في كتاب سمّاه : « تحفة النبلاء في قصص الأنبياء »، وقام بتخريج تلك الأحاديث الواردة في كتاب ابن كثير، وعزوها إلى أصحاب السنن، فهو ممّا يزيد الانتفاع بالأصل .

[1] ـ مقدمة في أصول التفسير لابن تمية : شرح مساعد الطيّار، ص 138 .

[2] ـ ينظر : البداية والنهاية، ج 12، ص 50 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاتمة :

وبعد هذه الجولة العلمية في رحاب القصة القرآنية في دائرة المعارف الإسلامية، كان لزاما تدوين بعض النتائج المستنبطة والمستنتجة من خلال هذا المقال، ويمكن إجمال أهمّ هذه النتائج في النقاط الآتية :

- تربع القصة القرآني على مساحة واسعة من موضوعات القرآن ومحاوره، نظرا لما اشتملت عليه من المقاصد والأهداف التي جاء القرآن يحققها تحت لواء هذا الأسلوب من أساليبه .
- تبوأ قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ منزلة رفيعة في القرآن الكريم مقارنة ببقايا القصص القرآني الآخر، نظرا لتعدد المواضع التي جاءت القصة تعالجها، وتنوع الأهداف والمقاصد التي جاءت تحققها .
- تعدد وسائل الاستشراق وتنوع آلياته في إنشاء الأبحاث العلمية المتعلقة بالدراسات الإسلامية، ومن صور تنوعه إنشاء الموسوعات العلمية . والتي تعدّ هذه الدار ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ لونا من ألوانها، وشكلا من أشكالها .
- اهتمام دائرة المعارف الإسلامية بمباحث القرآن وعلومه، ومن صور ذلك الاهتمام التطرق للقصص القرآني والبحث في جزئياته، والتعرض لقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ دليل على الاهتمام بهذا الفنّ من فنون القرآن الكريم.
- قيام دراسات دائرة المعارف الإسلامية حول القصص القرآني على إثارة التناقض والاختلاف بين ما عرضه القرآن الكريم، وما ورد في الكتب المقدسة لإثبات وجود تعارض بين نصوص القرآن الكريم فيما عرضه من شأن قصة إبراهيم ، وبين ما ذكر في الكتب المقدّسة .
- بيان كذب وبطلان دعاوى ومزاعم المستشرقين في عدم تعرض القرآن المكي لقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ مقارنة بالقرآن المدني.
- تفنيد مزاعم المستشرقين في اعتماد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في دعوته بمكة على اليهود واتصالهم به .
- تفنيد دعاوى المستشرقين في ربط نبوته ودعوته صلى الله عليه وسلم بيهودية إبراهيم، وبيان بطلان مزاعم ارتباط نبي الله إبراهيم باليهودية، وإثبات خلاف ذلك بوصف القرآن الكريم بأنّه كان حنيفا مسلما.
- اعتماد دائرة المعارف الإسلامية في سرد وعرض قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ على الكتب المقدسة التوارة، والإنجيل، مع المقارنة بما ورد في القرآن الكريم
- اعتماد دائرة المعارف الإسلامية في سرد وعرض قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ على الكتب التاريخية، وكتب القصص القرآني، مع اشتمال هذه المصادر على كثير من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة، والأخبار الواهية والموضوعة .
- ضرورة تمحيص الأخبار الصحيحة من الضعيفة في تناول القصص القرآني، مع ضرورة إعمال مناهج المحدثين في التعامل مع تلك المرويات، والاقتصار على ما ورد في القرآن الكريم، وصحّ من السنة النبوية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم (مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي)

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي : جمع وتقديم نجله : أحمد طالب الإبراهيمي، ط 1، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ، 1997 م.
- البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ط 1، تحقيق : علي شيري، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ، 1408 هـ ـ 1998م .
- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا : محمود المقداد، د ط، الكويت ـ دار المعرفة ـ 1413 ـ 1992 م .
- تاريخ الرسل والملوك : محمد بن جرير الطبري، ط 2، بيروت ـ دار التراث العربي ـ، 1387 هـ .
- التسهيل لعلوم التنزيل : أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ط 1، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ، 1425 هـ ـ2004 م .
- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط 2، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420 هـ ـ 1999 م .
- جامع البيان في تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط 1، تحقيق : أحمد محمد شاكر، بيروت، ـ مؤسسة الرسالة ـ، 1420 هـ ـ 2000 م .
- دائرة المعارف الاستشراقية أضاليل وأباطيل : إبراهيم عوض، ط 1، مصر ـ مكتبة البلد الأمين ـ، 1419 هـ ـ 1998 م .
- دائرة المعارف الإسلامية : (الإصدار الأول)، مجموعة من المستشرقين، ترجمة : أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، بيروت ـ دار المعرفة ـ، 1933 م .
- دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات : أكرم ضياء العمري، ط 1، المملكة العربية السعودية ـ المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي ـ، 1403 هـ ـ 1983 .
- زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، ط4، تحقيق : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، 1407 ـ 1987 م .
- الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري، ط 4، تحقيق : أحمد عبد الغفار عطا، بيروت ـ دار العلم للملايين ـ، 1984 م .
- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ، د ت .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : أبو محمد محمود بن محمد بن موسى بدر الدين العيني، د ط، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ، د ت .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر : أحمد سمايلوفيتش، القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ 1418 هـ ـ 1998 .
- قصص الأنبياء : أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط 1، تحقيق : مصطفى عبد الواحد، القاهرة ـ
- قصص القرآن الكريم : صدق حدث، وسمو هدف، إرهاف حس، وتهذيب نفس، فضل حسن عباس، ط 3، الأردن ـ دار النفائس ـ، 1430 هـ ـ 2010 م .
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : عبد الكريم الخطيب، د ط، بيروت ـ دار المعرفة، د ت.
- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، د ط، دار المعارف، د ت .
- مباحث السيرة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية : محمد بن قيدة، رسالة دكتوراه ـ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ، 2017 ـ 2018 م .
- مباحث في علوم القرآن : مناع القطان، ط 14، القاهرة ـ مكتبة وهبة ـ، 1427 هـ ـ 2007 م .
- المستشرقون : نجيب العقيقي، ط 3، القاهرة ـ دار المعارف ـ 1964 م .
- مصطلح التاريخ : أحمد رستم ، ط 1، القاهرة ـ تراث ـ، 1436 هـ ـ 2015 م .
- مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني : عبد العزيز ثابت، رسالة دكتوراه ـ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ، 2013م ـ 2014 م .
- الموسوعة العربية العالمية : مجموعة من الباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة ـ الرياض ـ، ط 2، 1419 هـ ـ 1999 م .
- موسوعة المستشرقين : عبد الرحمان بدوي، ط 3، بيروت ـ دار العلم للملايين ـ 1993 م .
- الهداية إلى بلوغ النهاية : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ط 1، تحقيق : مجموعة من الباحثين بجامعة الشارقة، مجموع بحوث الكتاب والسنة ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة ـ، 1429 هـ ـ 2008 م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com